الفصل التاسع عشر

الرفض اليهودي للصهيونية!

تنطلق الصهيونية من افتراض وجود ثقافة يهودية مستقلة باعتبار وجود تراث يهودي مستقل وهي تجعل من هذا أساس بعثها، أما الصهيونية في حد ذاتها فإنها وليدة العصر الإمبريالي الغربي حيث نشأت أصلاً المشكلة اليهودية هناك في أوروبا الغربية حينما تدفق اليهود من الشرق إليها، وحيث نشأت الحركة الصهيونية على اعتبار أن اليهود شعب عضوي، فجاءت الصهيونية لكي تعبر عن هوية هذا الشعب، لهذا من المفترض أن يكون للثقافة اليهودية امتداد في الماضي بمعنى أن لها تراث، ومن المفروض أيضًا أن يكون لها امتداد في المستقبل مما دعا الصهاينة إلى بعث العبرية لأنها لغة شعب عضوي.

لقد قويت هذه الدعوة حينما انضم إليها يهود الشرق الذين أتوا إلى أوروبا الغربية من روسيا وبولندا، فكان يهود اليديشية أول من نادوا من اليهود إلى هوية اثنية ذات تراث ثقافي مستقل ولغة مستقلة، وفي اليهودية الشرقية المحافظة اكتسبت الدعوة إلى التراث ركيزة دينية حتى إنها خلعت صفة الإطلاق على الشعب اليهودي وجعلته يحل محل الخالق من ناحية التقديس، وحتى عند اليهودية الإصلاحية أو التجديدية يعتبر التراث صراحة مصدر التقديس.

لكن الأمر لم يخلو من المعارضين، فقد عارض هذا اليهود المتدينون الذين لا يعتبرون اليهودية مجرد تراث ثقافي بل هي انتماء ديني، واللغة العبرية مقدسة ولا يجب استعمالها في شئون الدنيا، وعارض الفكرة أيضًا اليهود الاندماجيون (التوطينيون) وهم يهود غرب أوروبا فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، ومن ثم يهود الولايات المتحدة الأمريكية ما عدا يهود إسرائيل (الاستيطانيون) حيث يرى الاندماجيون بأنهم يكتسبون هويتهم الثقافية من الثقافات القومية الأخرى المختلفة التي يتفق وجودهم فيها، فلم يلتزم هؤلاء بالمصطلحات العبرية حتى إنهم استبعدوا من صلواتهم الشارات العبرية، كما أن دعاة الثقافة اليديشية عارضوا أن يكون لليهود ثقافة وهوية يهودية عالمية، فهؤلاء يرون بأنهم (اليديشية) يُشكّلون ثقافة يهودية قومية مستقلة ليست يهودية بشكل عام، وإنما هي ثقافة يهودية شرق أوروبية تفكر وتتحدث باليديشية، ويمكن إطلاق مصطلح القومية اليديشية عليهم.

وبعد أخذ ورد وحوارات وجدل وخلاف بين هذه التيارات كان لا بد أن تنتصر الصهيونية، لأن دعاة اليديشية والاندماجيون لم يحبذوا التوجه إلى كافة الجماعات اليهودية في العالم، فهم ينكرون وجود ثقافة يهودية عالمية، ويقرون بالاندماج في المجتمعات التي يقيمون فيها، أما المتدينون فكانت معارضتهم غير ذات أثر بسبب ازدياد معدل العلمنة في أوروبا التي يقود يهودها المنظمة الصهيونية، وكون المتدينون يعتبرون اليهودية دين لا حدود له ولا جغرافيا مثل المسيحية والإسلام.

لهذا كان المستوطنون الأوائل في فلسطين لا يسمون أنفسهم يهودًا، بل يعتبرون أنفسهم عبرانيين يهدفون إلى إنشاء دولة عبرية أو عبرانية تقطع علاقتها تمامًا بالتراث اليهودي باعتباره تراث المنفى، وقد ظل الوضع هكذا حتى الثلاثينات من القرن العشرين حينما كان الزخم الصهيوني التعبوي على أشده بعد صدور وعد بلفور وانتداب بريطانيا على فلسطين وتنافس الدول الاستعمارية على من يكون له النفوذ في المنطقة وتوظيف المادة البشرية اليهودية لخدمة المصالح الاستعمارية، وهكذا أصبحت إسرائيل بعد إعلان الدولة الصهيونية ميدانًا لثقافات مختلفة جلبها معهم اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين من شتى أنحاء الأرض بما فيهم يهود الفلاشا الذين أتوا من أفريقيا.

ورغم أن الصهاينة يدَّعون بأن هناك ثقافة يهودية فإنه يغلب على الثقافة في الدولة الصهيونية هو انتماؤها للغرب، فهي ثقافة غربية، بل إن المثقفين في إسرائيل يتفاخرون بأنهم مرتبطين عضويًا بالحضارة الغربية وأن إسرائيل دولة غربية في المنطقة، هذا بالإضافة إلى الفوارق الواضحة بين سكان إسرائيل الحاليين من الاشكيناز (اليديشية) والسفارد خصوصًا، ورغم أن يهود السفارد ويهود العالم العربي يشكلون أكثر من نصف سكان إسرائيل إلا أن كل ما يسجل ويفتخر به هو لليهود الاشكيناز خصوصًا في كتب الدراسة، حاليًا هناك ثقافة عبرية نشطة في الدولة الصهيونية، وبقدر ما توحد سكان إسرائيل في الظاهر ستكون أحد المشاكل مستقبلاً مع يهود العالم الذين ينتمون إلى ثقافات توطينية

أخرى في بلادهم، كما أن الثقافة العبرية النشطة حاليًا في إسرائيل، أي ثقافة الإسرائيليين المولودين على أرض فلسطين، ستكون ذات صبغة إشكنازية واضحة، وذلك نظرًا لاستبعاد اليهود السفارد والعرب من مؤسسات صنع القرار، ذلك لأن صورة الذات في إسرائيل اشكنازية، وحين تكتمل هذه الثقافة في إسرائيل فستكون ثقافة المستوطن الذي يعيش في إسرائيل فقط وسيكون طابعها اشكينازي أيضًا، وستبقى الجماعات الأخرى منطوية داخل مناطقها تحتفظ بما أتت به من ثقافات خاصة، كأنها تعيش في مجتمع ليست مندمجة فيه، وتلتقي معه في اللغة فقط.

إن مصطلح "الرفض اليهودي للصهيونية" معناه ببساطة أن اليهود قسمان قسم مع الصهيونية وقسم ضدها، ولكن هناك ظلال كثيرة بين القسمين، بمعنى آخر إذا كان رافضوا الصهيونية أقلية، والمدافعون عنها أقلية فمعنى هذا أن الغالبية توجد بينهما، أي أن هناك عدم اكتراث يهودي بالصهيونية، وفوق هذا هناك المنتفعون والمتضررون موسميًا.

منذ البداية اتخذت كافة المنظمات اليهودية موقفًا معارضًا أو موقفًا غير صهيوني، حدث ذلك في ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة، وصدرت صور الاحتجاجات على أشكال مختلفة خصوصًا ما أعلنته في حينه المنظمات اليهودية في تلك البلاد وغيرها، هذا وتأخذ صور رفض الصهيونية أحيانًا، أن اليهودي الذي يقف ضد التوسعية الصهيونية أو ضد قمع الفلسطينيين هو مُعادي للصهيونية، كما أن رفض السياسات الإسرائيلية دون الإعلان عن معاداة الصهيونية هو معاداة للصهيونية أيضًا، كما أن من يُطالب بحل الدولتين ولا يراهما واقعًا على الأرض هو مُعادي للصهيونية، ويرى البعض أن العداء اليهودي للصهيونية هو شكل من أشكال كُره اليهودي لنفسه.

أولاً، يرى اليهود الأرثوذكس أن تهجير اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة هو عمل مادي ليس من صنع الرب، وأن الحق هو انتظار وصول المُخلّص ثم إقامة الدولة، ولذلك فهم معارضون للصهيونية من الناحية الدينية، كما أن اليهودية الإصلاحية

ترى أن الإله قد حل في الأمة وليس في الأرض ولا حتى في التاريخ، وإنما في روح التقدم والعصر، وهم يرون أن اليهود ليسوا شعبًا إنما هم أقلية دينية، وهؤلاء يقفون ضد الصهيونية، لأن الصهيونية تُعتبر موطن الحلول في الشعب اليهودي، لكن التيار الصهيوني قد اكتسح التيار الإصلاحي وتم صهينته من الداخل.

ثانيًا، الليبراليون الصهاينة يؤمنون بمثل عصر الاستنارة، ووجوب فصل الدين عن الدولة، ويرون أن اليهود ليسوا شعبًا وإنما أقلية دينية، وأنهم ليسوا أمة من الكهنة وإنما مواطنون عاديون يتجه ولاؤهم إلى الدولة التي يعيشون فيها، وأن اليهود ليس لهم تاريخ مستقل فتاريخهم فرنسي في فرنسا، وإنجليزي في انجلترا، واللغة التي يجب أن يتحدثوا بها هي لغة الوطن الذي يعيشون فيه، لكن إعلان دولة إسرائيل وصداقتها للعالم الغربي الرأسمالي عمل إلى تَساقُط الجمعيات التي تُعبِّر عن هذا الاتجاه.

ثالثًا، أما الرفض الاشتراكي للصهيونية فيصور أن اليهود أقلية دينية وأن ما يسري على كل الأقليات في المجتمع يسري عليهم، وأن حل المسألة اليهودية يكون عن طريق حل المشاكل الاجتماعية والطبقية للمجتمع ككل.

رابعًا، الرفض من منظور قومية الدياسبورا (الشتات)، لأنهم يرون أن اليهود يُكوِّنون أقليات قومية لها هويات مستقلة خارج فلسطين، وحين يتحدث دعاة قومية الدياسبورا فهم يشيرون إلى أقلية إثنية، وحيث إن معظم دعاة هذا الاتجاه كانوا يتحدثون باسم غالبية يهود العالم، وهم يهود اليديشية، فإنهم يتحدثون في العادة عن القومية اليديشية، وإلى جانب هذا التيار، بدأ يظهر تيار مماثل بين يهود أمريكا يرى أن هويتهم الحقيقية هي هوية أمريكية يهودية تستحق الحفاظ عليها، ومن ثم ينبغي عدم تصفيتها أو إخضاعها للدولة الصهيونية، ويمكن القول من ناحية التطور التاريخي بإن العداء اليهودي للصهيونية كان قويًا للغاية حتى إعلان وعد بلفور حين تم توقيع عقد بين الحضارة الغربية والصهاينة الذين ادعوا تمثيل الشعب اليهودي، وقد أزيل بالتالي احتمال ازدواج الولاء، ومع إعلان الدولة الصهيونية دولة وظيفية في خدمة الاستعمار الغربي، أصبح من العبث

معارضتها بل أصبح من المنطقي تبنِّي العقيدة الصهيونية باعتبارها العقيدة التي تُدخل اليهود في نطاق الحضارة الغربية وتُوظّفهم لصالحها.

خامسًا، "الاتحاد المركزي للمواطنين الألمان من أتباع العقيدة اليهودية" هو منظمة ألمانية أسِّست في برلين عام ١٨٩٣م بهدف كفالة المساواة المدنية والاجتماعية بين اليهود وغيرهم من الرعايا الألمان، واعتبرت المنظمة أن يهود ألمانيا يُشكلون جماعة دينية لا جماعة قومية وأنهم جزء لا يتجزأ من الأمة الألمانية، واتخذت هذه المنظمة موقفًا مضادًا من المشروع الصهيوني، وخطط تهجير اليهود إلى فلسطين، لكن هذه المنظمة شاركت في أعمال الوكالة اليهودية وساهمت في تمويل مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين، ولكن نشاط المنظمة كان نشاطًا يهوديًا توطينيًا يهدف إلى تحويل هجرة يهود اليديشية من أوروبا إلى أماكن متفرقة من العالم، وليس إلى فلسطين بالضرورة.

سادسًا، كان النازيون في ألمانيا لا يفضلون التعامل مع الاتحاد المركزي للمواطنين الألمان بسبب اتجاهاته الاندماجية إذ أن النازيين يؤمنون بالشعب العضوي الذي لا يمكن أن يندمج فيه أعضاء الشعوب، ولذا فمن وجهة نظرهم، كان دعاة الاندماج من اليهود هم الأعداء الحقيقيون الذين يُزيفون الواقع ويودون التسلل في صفوف الألمان بهدف تخريبهم من الداخل، وهذا على عكس الصهاينة الذين يؤمنون كما النازيون بفكرة الشعب العضوي اليهودي، ومن ثم يقفون ضد الاندماج، ولكل هذا كان النازيون يؤثرون التعامل معهم.

سابعًا، حاخامات الاحتجاج في ألمانيا، أطلق على مجموعة الحاخامات الذين عارضوا الصهيونية العلمانية، وهم الذين احتجوا أيضًا عام ١٨٩٧م على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول الذي تم تغيير مكان انعقاده من ميونيخ بألمانيا إلى بازل بالنمسا، فقد نشر الحاخامات مقالاً مؤداه أن الصهيونية تناقض آمال اليهود، ولأن هرتزل وبقية أعضاء القيادة الصهيونية غير دينيين، فإن هذا الهجوم كان يُمثل مفاجأة كاملة بالنسبة إليهم، فكتب "نوردو" يتحدث عن خيانة الحاخامات وقد كان يجهل أن الحب التقليدي لصهيون هو حب ديني لا يترجم نفسه إلى عودة

لفلسطين واستيطانها، ومن اليهود الذين عارضوا الصهيونية، كان بعض يهود البلاد العربية، مثل "عصبة مكافحة الصهيونية" في العراق؛ و"الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية" في مصر، كما أن الحزب الشيوعي العراقي قد عارض الصهيونية.

ثامنًا، الناطوري كارتا (نواطير المدينة) أو حراس المدينة هي الترجمة للعبارة الآرامية "ناطوري كارتا"، وهي منظمة يهودية دولية معادية للصهيونية، وقد جاء في التلمود "أن حاخامين من حاخامات اليهود ذهبا إلى فلسطين للتأكد من أن كل مدينة من مدنها تضم مدرسة وبيت عبادة حيث يتعلم الأطفال الشريعة، وسألا أهل إحدى المدن عن حراس المدينة (ناطوري كارتا) فأتى سكان المدينة بالشرطة، فقال الحاخامان: هذان ليسا حرس المدينة، هذان مُخربا المدينة، فحراس ونواطير المدينة الحقيقيون هم الذين يُصلُّون في بيوت العبادة ويدرسون التوراة ويعلمونها للأطفال"، وهنا المغزى الحقيقي وبلاغة الموقف أي أن اليهودية دين وعبادة وسلوك، وليست دولة وجيش.

نواطير المدينة جماعة دينية يهودية أرثوذكسية من أكثر الجماعات عداءً للدولة الصهيونية، فاليهودية الحاخامية الأرثوذكسية ظلت ترفض الصهيونية حتى عهد قريب، وهو رفض ينطلق من عدة أفكار (أو عقائد) جوهرية في العقيدة اليهودية، وما حدث هو أن العقيدة اليهودية تمت صهينتها من الداخل، بينما ظل أعضاء جماعة نواطير المدينة متمسكين بمبادئهم الدينية، والعقيدة الدينية على عكس العقيدة العلمانية لا تتغيَّر ولا تخضع لموافقة أو رفض الأغلبية.

لهذا، يرى أعضاء منظمة ناتوري كارتا أو نواطير المدينة أن الصهيونية لا تمثل استمرارًا للتراث الديني اليهودي وإنما رفضًا لها وانسلاخًا عن التراث الديني، بل إن الصهيونية من منظور الناطوري كارتا هي أخطر المؤامرات، ولعل الفكرة الأساسية التي يرتكز إليها الرفض الأرثوذكسي للصهيونية هي فكرة الشعب اليهودي بالمفهوم الديني، فالشعب اليهودي بالنسبة لأعضاء هذه الجمعية ليس شعبًا بالمعنى المُتعارَف عليه، وإنما هو أساسًا جماعة دينية ظهرت إلى الوجود

منذ ثلاثة آلاف عام، ويستمد هذا الشعب وجوده من ميثاقه مع الخالق وهو ميثاق دائم لا يمكن فهمه، وحسب هذا الميثاق، يلتزم كل اليهود بالتوراة وتعاليمها التي يقوم الحاخامات بتفسيرها كلٌّ في جيله، انطلاقًا من هذا الإيمان بإنسانية مشتركة وخصوصية دينية مستقلة يؤكد أعضاء جمعية نواطير المدينة أن اليهودية تبغض سفك الدماء بل تُنادي بتحاشي ذلك بأي ثمن، بل يؤكدون أن العقيدة اليهودية تحض اليهودي على عدم المشاركة في السلطة الدنيوية وعلى رَفْض حمل السلاح، فعلى اليهود أن يتركوا مثل هذه الأمور للدولة التي يعيشون في كنفها، أما الصهاينة يؤمنون بعكس ذلك، ويرون أن على اليهودي أن يحمل السلاح ويقاتل، وأن تكون له دولة وجيش وعلم، وأما القانون الديني فلا يعني الصهاينة ويجب أن ينسى وأن يطوى، وأن تُعتبر الكتب الدينية نوعًا من أنواع الفلكلور الذي يجب التعامل معه كفلكلور فقط.

وإذا كان نواطير المدينة يرون أن اليهودي يكتسب هويته من خلال أداء الشعائر الدينية، فإن الصهاينة يرون أن الإنسان من الممكن أن يبقى يهوديًا بشكل عام حتى لو لم يُمارس أيًا من هذه الشعائر، مثل الامتناع عن العمل يوم السبت أو الالتزام بقوانين الطعام مثل عدم أكل لحم الخنزير أو اتباع التشريعات الخاصة بالزواج، بل حتى إن أنكر وجود الإله.

وفيما يخص علاقة اليهودي بأرض الميعاد، يؤكد نواطير المدينة أن اليهودي المتدين يتجه بعواطفه وقلبه لهذه الأرض، أو أرض الميعاد المقدَّسة وخصوصًا مدينة القدس، فهم يذكرونها في صلواتهم عدة مرات كل يوم، ولقد تلا اليهود هذه الصلوات آلاف السنين، ولكن هذه الصلوات لا علاقة لها بالصهيونية أو بفكرة العودة الصهيونية، وأما نفي اليهود من فلسطين فيرى جماعة ناتوري كارتا بأنها كانت نتيجة غضب الإله كعقاب لبني إسرائيل، وأما العودة إلى فلسطين فلا تتم إلا أن يأمر بها الله، وليس العودة بالقوة.

وتذهب أدبيات نواطير المدينة إلى أكثر من هذا، إذ يوجِّهون الاتهام للحركة الصهيونية بأنها حركة معادية لليهود، فالدولة الصهيونية تدَّعي أنها دولة كل

اليهود، وأن على اليهودي أن يتوجه بولائه للدولة اليهودية وحدها وليس للدولة التي يعيش فيها، وبالتالي فهي تخلق لليهود مشكلة ازدواج الولاء وتدعم الاتهامات المعادية لليهود، ولأن الصهيونية تزدهر بازدهار معاداة اليهود، فهي تُروِّج لها، بل إن الصهيونية تحاول أن تُقوِّض وضع اليهود أينما وُجدوا حتى تضطرهم للهجرة إلى إسرائيل، ومن الحقائق غير المعروفة التي يحاول نواطير المدينة تعريف الناس بها، أن الصهاينة تعاونوا مع النازيين حتى يقضوا على يهود شرق أوروبا، باعتبار أن جماهير شرق أوروبا اليهودية كانت القاعدة العريضة التي يستند إليها الرفض الديني للصهيونية، ووجود مثل هذا الرفض على مستوى جماهيري واسع كان سيسحب من الصهيونية أية شرعية.

وقد نجحت جماعة نواطير المدينة في الإفلات من براثن الصهيونية لأنها غلَّبت الطبقة التوحيدية داخل العقيدة اليهودية على الطبقة الحلولية التخصصية الوثنية، التي تجعل اليهود وحدهم مركز اهتمام الإله كما فعلت الصهيونية، وتمسكت بالحل الحاخامي لمشكلة الحلول، وهناك جمعيات ومنظمات وعائلات وأشخاص يهود رفضوا الصهيونية، ورفضوا دولة لليهود في فلسطين بل ومنهم من دعا إلى حق تقرير المصير للفلسطينيين.

تاسعًا، من المنظمات "بريرا" ومعناها "لا اختيار" وهي منظمة ترفض الصهيونية.

عاشرًا، عائلة "منتاجو"، عائلة يهودية إنجليزية من رجال المال والسياسة، من أصل سفاردي، وقد كانت عائلة مونتاجو تُعارض الحركة الصهيونية من منظور اندماجي.

أحد عشر، موريتز جودمان (١٨٣٥ - ١٩١٨م) حاخام وعالم ألماني منذ سنة ١٨٩٤، وهو كبير حاخامات فيينا، حينما كتب تيودور هرتزل كراسته المعنونة دولة اليهود، تصوَّر أن ثلاثة أشخاص قد يضعون فكرته موضع التنفيذ من بينهم جودمان، والآخران هما دي هيرش وروتشيلد، فأرسل هرتزل أول خطاب إلى جودمان عام ١٨٩٥م باعتباره واحدًا من أهم المدافعين عن اليهودية، ولكن

جودمان خيب ظنه إذ أنه كان من المدافعين عن اندماج اليهود في حضارات البلدان التي يعيشون في كنفها اندماجًا لا يؤدي بالضرورة إلى الانصهار.

ثاني عشر، هرمان كوهين (١٨٤٢-١٩١٨م) فيلسوف ألماني يهودي، كان كوهين متأثرًا بتفكير موسى بن ميمون العقلاني، وكان اندماجيًا قليل الاهتمام بالعقيدة اليهودية.

ثلاثة عشر، يوسف سوننفلد (١٨٤٨-١٩٣٢م) كبير حاخامات اليهود الأرثوذكس في فلسطين إبان فترة بداية الانتداب البريطاني وحتى وفاته عام١٩٣٢م، وُلِد في المجر، ومات أبوه وهو صغير، وعارض رغبة زوج أمه في تعليمه تعليمًا علمانيًا في صغره، وأصر على الانخراط في سلك الحاخامية اليهودية، وقد حصل سوننفلد على شهادة ترسيمه حاخامًا وهو في السادسة عشرة من عمره، ثم التحق بحلقة الحاخام الشهير أبراهام شاح وسافر عام ١٨٧٣ مع معلمه إلى فلسطين ليحيا ويستقر، كان عدوًا لا يهدأ للصهاينة ودعاواهم العلمانية.

رابع عشر، إسرائيل فرومكين (١٨٥٠ - ١٩١٤م) صحفي روسي يهودي وُلد في روسيا البيضاء، سافر إلى فلسطين مع أبويه وعمره ٩ سنوات، تزوج ابنة مؤسس صحيفة هافاتزيليت ثاني الصحف العبرية، وبعدما أصبح رئيسًا لتحريرها، استمر في هذا المنصب مدة ٤٠ عامًا، كان ناقدًا لاذعًا للمستوطنين اليهود الأوائل، كما نقد فسادهم المالي والأخلاقي مطالبًا بإصلاح حركة التوطين ولكنه غيَّر موقفه مع وصول دُفعات جديدة من المستوطنين عام ١٨٨٢م إذ أصبح عدوًا لدودًا لحركة أحباء صهيون وكذلك هرتزل وآحاد هعام فيما بعد، وعارض بشدة الحركات التوطينية مع إيضاح طابعها العلماني غير الديني.

خامس عشر، لوسيان وولف (١٨٥٧-١٩٣٠م) صحفي ومؤرخ بريطاني يهودي، كرَّس حياته للدفاع عن حقوق اليهود في البلاد التي يعيشون فيها أي أن موقفه مع الحقوق اليهودية كان موقفًا مُعارضًا للموقف الصهيوني، كتب كثيرًا من المقالات للمجلات البريطانية اليهودية وغير اليهودية، كان وولف عضوًا في

اللجنة الأجنبية المشتركة التي أسستها الهيئة اليهودية الإنجليزية ومجلس مندوبي يهود بريطانيا، وقد حاول قصارى جهده أن يجد حلاً للمسألة اليهودية أينما ظهرت، وتركزت جهوده على روسيا ورومانيا، ولكن يُلاحَظ أن وولف كان دائمًا يبحث عن حل للمسألة اليهودية خارج إطار الصهيونية.

سادس عشر، نيثان بيرنباوم (١٨٦٤-١٩٣٧) كاتب سياسي نمساوي يهودي، وُلد في فيينا لعائلة حسيدية، تعرَّف إلى مُثُل حركة الاستنارة، فتخلَّى عن العقيدة اليهودية وتَبنَّى الحلول الصهيونية، واشترك في تأسيس منظمة شبابية هي منظمة كديما (١٨٨٢)، وفي عام ١٨٨٤م صدر أول أعداد مجلته الانعتاق الذاتي (سُميت باسم كراسة بنسكر)، وكان هو ناشر المجلة ومحررها وطابعها، وقد بلور بيرنباوم الفكرة الصهيونية قبل ظهور هرتزل ونشر كتابًا عن المسألة اليهودية عام ١٨٩٣م بعنوان البعث القومي للشعب اليهودي في أرضه كوسيلة لحل المسألة اليهودية، لكنه اكتشف أن الغرض من الوجود اليهودي هو الإبقاء على النور الإلهي مشتعلاً، ولذا يجب أن يُكرِّس اليهودي نفسه لخدمته كما فعل منذ بداية التاريخ، لكل هذا اتجه بيرنباوم لليهودية الأرثوذكسية وانضم لجماعة أجودات إسرائيل وأصبح رافضًا تمامًا للصهيونية.

سابع عشر، يوسف دوشينسكي (١٨٦٧-١٩٤٨) حاخام أرثوذكسي مُعاد للصهيونية، وُلد في المجر، أسس مدرسة حاخامية في جالانتا عام ١٨٩٥، وزار فلسطين للمرة الأولى عام ١٩٣٢م، وقد تُوفي الحاخام الأكبر سوننفلد أثناء زيارته، فعُرض عليه منصب حاخام القدس لكنه رفض وعاد لتشيكوسلوفاكيا، ثم عاد وقبل المنصب في عام ١٩٣٣م تحت ضغط حاخام فلنا وغيره من كبار الحاخامات، وبدأ نشاطه ضد الدعاية الصهيونية فورًا.

ثامن عشر، يعقوب دي هان (١٨٨١-١٩٢٤م) أستاذ قانون دولي ورجل دين يهودي هولندي، وُلد لأسرة متوسطة متعلمة من اليهود الأرثوذكس حيث كان والده معلمًا، تَخرَّج في مدرسة المعلمين حيث أظهر مقدرة فائقة في الشِعر ونُشرت أشعاره في العديد من الصحف الهولندية وقدَّرته الأوساط الأدبية، وقد

أعجبته الطبيبة يوهانا فان مارسيفين، وهي غير يهودية ومن أسرة غنية، وتحوَّل هذا الإعجاب إلى حب فتزوجا، وقد قامت زوجته الغنية بتمويل دراساته الجامعية حتى تَخرَّج حيث عمل بعدئذ محاضرًا في الجامعة، انضم دي هان للاشتراكيين الديموقراطيين، وسافر إلى روسيا ضمن وفد حزبي، وعند عودته ألَّف كتابًا عن أحوال المعتقلين السياسيين في سجون القيصر، وقد كانت رحلته تلك سببًا في تَحوُّل مجرى حياته تحوُّلاً عميقًا، فقد تأثر كثيرًا بمذابح اليهود ورفع تقريره للقصر الملكي الهولندي لكنه وجد استهزاء من جانب المستشارين اليهود.

تراجع دي هان عن الاشتراكية وانفصل عن زوجته وعاد إلى اليهودية وأصدر عام ١٩١٨ كتاب "الأنشودة اليهودية" الذي تلقفته الدعاية الصهيونية، فهاجر إلى فلسطين باعتباره أول هولندي صهيوني يهاجر إلى هناك عام ١٩١٩م، عمل دي هان في فلسطين مراسلاً لجريدة هولندية تَصدُر في أمستردام، كما عمل أيضًا لجريدة ديلي إكسبريس اللندنية، وكان يلقي محاضرات في كلية القانون التابعة للحكومة في القدس حين تَعرَّف إلى الحاخام الأرثوذكسي سوننفلد وعرف وجهة النظر الأرثوذكسية اليهودية المتدينة في الصهيونية العنصرية العلمانية المتعصبة، وشيئًا فشيئًا غيَّر دي هان انتماءه السياسي والعقائدي وأصبح من أعداء الصهيونية والمتحدث باسم اليهودية الأرثوذكسية وأجودات إسرائيل (التي كانت حينذاك معادية تمامًا للصهيونية من منطلق ديني)، وانبرى للدفاع عن حقوق العرب في أرضهم.

تاسع عشر، يوئيل تايتلباوم (١٨٨٧ - ١٩٧٩م) كبير حاخامات الفرقة الحسيدية المسماة «ساتمار» وجماعة نواطير المدينة الأرثوذكسية، وُلِد في رومانيا داخل أسرة حاخامات عريقة، وقد تيتم صغيرًا، ورُسِّم حاخامًا وعمره ١٧ عامًا، وقد أسَّس مدرسة حاخامية في ساتمار برومانيا عام ١٩٠٦م، كان الحاخام تايتلباوم منذ البداية عدوًا لدودًا للصهيونية، وكان يرى أنها مصدر كل الموبقات والشرور، وقد سُجن في معسكرات الاعتقال النازية وهرب وأعيد اعتقاله عدة مرات، ونجح في النهاية في الهرب إلى سويسرا ثم ذهب إلى فلسطين لفترة قصيرة، وفي

فلسطين، طالب يهود العالم بإدانة الصهيونية وطرقها المخادعة والدنيئة ودعا إلى التنصل منها تمامًا، ثم ارتحل إلى الولايات المتحدة حيث استقر هناك منذ عام ١٩٤٦م وحتى وفاته.

عشرون، هانز كون (١٨٩١-١٩٧١م) مؤرخ أمريكي يهودي حاصل على الدكتوراه في جامعة براغ، واستقر في فلسطين عام ١٩٢٥م ولكنه تركها عام ١٩٣٤م، ثم استقر في الولايات المتحدة حيث عمل أستاذًا للتاريخ في كلية سميث كوليج من عام ١٩٤٩م حتى عام ١٩٦٢م، وفي "سيتي كوليج" في نيويورك. يدور اهتمام كون حول فكرة القومية، وأهم أعماله هي: فكرة القومية (١٩٤٤م)، وعصر القومية (١٩٦٢م)، ومقدمة للدول القومية (١٩٦٧م)، له كتاب عن بوبر وهايني وآحاد هعام، واختياره لهذه الشخصيات يدل على قلقه من الفكرة الصهيونية، وهو قلق عبَّر عنه في دراسته "صهيون وفكرة اليهودية القومية"، يقول كوهن في دراسته هذه: "لا توجد حضارة عظيمة لم تتأثر بالحضارات الأخرى أو تقتبس منها، سواء في مجال الدين أو في مجال اللغة أو القوانين أو العادات"، وهكذا كان اليهود، فقد بلغوا درجة عالية من الامتياز بعد أن تركوا فلسطين واختلطوا بالشعوب الأخرى، ومن هنا ظهرت بينهم أسماء المشاهير أمثال هايني وماركس وبرجسون، وعلى حد قوله، فإن العودة للأصل ليست بالضرورة شيئًا إيجابيًا يزيد من درجة الإبداع، فالفرنسيون لم يضرهم كثيرًا تخليهم عن لغتهم الأصلية الغالية وتبنيهم لغة الغزاة الرومان، بل إن مصدر التشريع الأوروبي كله هو القانون الروماني، وهو قانون فُرض فرضًا من الخارج على أوروبا ولم ينبع من داخلها.

ويبيِّن هانز كون أن ثمة تيارين متعارضين داخل اليهودية: تيار قومي وآخر مُعاد للقومية، وأن التوراة جاء فيها أن زعماء الشعب اليهودي ذهبوا إلى النبي صمويل وطلبوا منه أن يُنصِّب عليهم ملكًا، أي أنهم كانوا يطلبون أن يكونوا مثل كل الأمم وأن تكون لهم حكومة مثل كل الحكومات ودولة مثل كل الدول، وحينما رفض النبي أن يفعل ذلك، أخبره الإله أن يُساير اليهود لأنهم بإصرارهم على أن

يكونوا مثل كل الشعوب الأخرى لم يرفضوا صمويل وإنما رفضوا الإله نفسه، فهم يودون أن يكونوا خدمًا للدولة بدلاً من أن يقوموا على خدمة الإله، وقد أسَّس اليهود دولتهم بالفعل، ولكن الأنبياء أخذوا منها موقف المعارضة، فقام أرميا بالهجوم عليها كما قام عاموس بإعادة تفسير فكرة الشعب المختار حسب أسس جديدة، فالاختيار حسب تفسيره لا يعني أن الإله منح اليهود حقوقًا خاصة، ولا يعني أن انتصارهم على الآخرين أمر أكيد، وإنما يعني أن الإله سيُنزل بهم أشد العقاب إذا ارتكبوا أية خطايا حتى ولو كانت عادية إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم" (عاموس ٢/٣)، بل إن عاموس كان راديكاليًا في تفسير فكرة أرض الميعاد نفسها، فحسب رؤيته لا يوجد أي فرق بين جماعة يسرائيل والأجناس الأخرى، إن مساعدة الإله لليهود على الخروج من أرض مصر ليست مقصورة على اليهود، فالإله يساعد كل الشعوب ولا يُميِّز بين شعب وآخر، وقد جاء في سفر أشعياء هذه الرؤية العالمية الشاملة لمستقبل يضم كل البشر "في ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى آشور فيجيء الآشوريون إلى مصر والمصريون إلى آشور ويعبد المصريون مع الآشوريين. مبارك شعبي مصر وعمل يدي آشور وميراثي إسرائيل" (أشعياء).

ويذكر "هانز كون" أيضًا في مجال تقديم رؤية اندماجية للتاريخ اليهودي حادثة "يفنه"، وذلك حين قام الحاخام "يوحنان بن زكاي" بالهرب من القدس أثناء حصار الرومان لها وأقام مدرسة تلمودية في يفنه وذلك حتى يضمن ألا يُباد كل الفقهاء والحاخامات، ولا يبقى منهم أحد يحمل مشعل الشريعة وينقلها ويفسرها للشعب بعد سقوط القدس، وبهروبه هذا تخلَّى يوحنان بن زكاي عن فكرة الدولة اليهودية، وأثبت أن الدولة في تاريخ اليهود ليست سوى ظاهرة عرضية، وأن اليهودية كدين وكتراث حضاري ظاهرة فريدة مستمرة تضرب بجذورها في عالم الروح اليهودية، ومن الواضح أن الهدف من هذه القراءة للتاريخ اليهودي هو إثبات أن الرؤية الصهيونية لليهود واليهودية متناقضة مع تجربة اليهود التاريخية ومع القيم الأخلاقية والدينية التي تُدافع عنها اليهودية كدين.

ويَظهَر التناقض بين الصهاينة والاندماجيين بشكل جلي في موقفهم من معاداة اليهود، فبينما يرى الصهاينة أنه مرض أزلي أو جرثومة حتمية خبيثة يُصاب بها كل الأغيار في كل زمان ومكان، يؤكد هانز كون أن الاندماجيين ينظرون إليها بشكل عقلاني على أنها مرض اجتماعي يتغيَّر بتغير الظروف، وبالتالي إذا ازدادت المجتمعات الإنسانية استنارة وعقلانية خفَّ خطر معاداة اليهود.

ويثير كون قضية تَعارُض الصهيونية مع حقوق اليهود، فالصهيونية لا تُطالب بالحرية الفردية لليهود وإنما تُطالب بالاستقلال الجماعي لهم وبحقهم في الهجرة، وهذا أمر يتنافى مع التقاليد الليبرالية التي لا تتعامل إلا مع الأفراد كأفراد ولا تتعامل إلا مع حقوق الأفراد داخل أوطانهم، وبالتالي فإن الطرح الصهيوني لقضية الحقوق اليهودية يضر بهذه الحقوق وبحقوق كل يهودي يرغب في البقاء في وطنه وفي الحصول على حقوقه السياسية والمدنية، ولم تُشر أيٌّ من الموسوعات اليهودية التي تناولت مؤلفات "كون" وفكره إلى موقفه من الصهيونية ككل واكتفت بالحديث عن كتاباته الأكاديمية العامة، وقد نشر كون سيرته الذاتية الحياة في ثورة عالمية (١٩٦٤ م).

هذا، ومن الفلاسفة والمفكرين من ذوي أصحاب المواقف والحجة الذين يعارضون الصهيونية، ويمثلون تيارات هامة في الجماعات اليهودية:

واحد وعشرون، موشيه منوهين ١٨٩٣ – ١٩٨٢م المولود في روسيا من عائلة حسيدية.

اثنان وعشرون، امرام بلاو ١٩٠٠ – ١٩٧٤م المولود في القدس، مؤسس حركة ناطوري كارتا.

ثلاث وعشرون، ميخائيل فيسمندل ١٩٠٣ – ١٩٥٧م المولود بالمجر، عقد اتفاق مع نائب ايجمان لإنقاذ يهود سلوفاكيا.

أربع وعشرون، ألمر بيرجر ١٩٠٨ – ١٩٩٦م ولد في أمريكا، يهودي انـدماجي إصلاحي رافض للصهيونية.

خمس وعشرون، حبيب شيبر المولود عـام ١٩١٣م فـي إسـرائيل، مناهضًـا لإسرائيل، ويعتبر نفسه لاجئًا سياسيًا.

ست وعشرون، مكسيم ودنسون ولد في باريس عام ١٩١٥م، مفكـر ماركسـي ومستشرق فرنسي يتهم إسرائيل بالعنصرية.

سبع وعشرون، الفريد ليلينتال المولود في عام ١٩١٦م، محامي يهودي أمريكي معادي لإسرائيل والصهيونية.

ثمان وعشرون، جيكوب بيتشوفسكي المولود في برلين عـام ١٩٢٥م، أكـد أن التقاليد اليهودية الحقة لا تتفق مع الصهيونية.

تسع وعشرون، مارك لين المولود في عام ١٩٢٧م، محامي يهودي دعـا إلـى إقامة دولة فلسطينية.

ثلاثون، نورتون ميزفنسكي ولد بالولايات المتحدة في عام ١٩٣٢م، يعتبـر مـن أنشط المناهضين للصهيونية.

واحد وثلاثون، ليني بيرنر ولد في بروكلين عام ١٩٣٧م، محامي أمريكي مُعادي للصهيونية.

اثنان وثلاثون، إدموند هاناور ولد في أمريكـا عـام ١٩٣٨م، دعـا الحكومـة الأمريكية إلى اتخاذ سياسة غير منحازة في الشرق الأوسط.